

جامعة العلوم الاسلامية العالمية

كلية الدراسات العليا /قسم أصول الدين

قسم التفسير وعلوم القران

البيان القرآني

في آيات قصة هود عليه السلام

The Quranic statement In the verses of the story Of Hood Peace be upon him

إعداد الطالبة

بلسم فارس سليمان حزمة

إشراف الأستاذ الدكتور

شحادة حميدي العمري

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الدكتوراة

في أصول الدين – التفسير – بكلية الدراسات العليا في

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

الأردن / عمان ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

نوقشت هذه الرسالة

البيان القرآني في آيات قصة هود عليه السلام

وأجيزت في ٢/ رجب ١٤٣٣هـ الموافق ٢٠١٢/٥/٢٣م

اعداد الطالبة

بلسم فارس سليمان حزمة

دكتوراه التفسير وعلوم القرآن

الأستاذ الدكتور : **شحادة حميدي العمري**، مشرفا..................

استاذ في التفسير وعلوم القرآن، ،مدير معهد القراءات والدراسات القرآنية، جامعة العلوم الإسلامية العالمية

الأستاذ الدكتور: **عبدالجواد خلف**، رئيسا..................................

استاذ في التفسير وعلوم القرآن، جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

الأستاذ الدكتور: **محمد احمد الكردي**، عضوا..................

استاذ في التفسير وعلوم القرآن، جامعة العلوم الاسلامية العالمية

الأستاذ الدكتور : **محمد خازر المجالي**، مناقشا خارجيا..........

استاذ في التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الاردنية

الإهــداء

- إلى القلب الحنون "أمي" التي غرست فينا حب هذا الدين والعمل لأجله.
- إلى روح والدي الطاهرة طيّب الله ثراه وأسكنه فسيح جناته.
- إلى زوجي العزيز صاحب القلب الكبير الذي طالمّا ساعدني وذلل كل الصعوبات التـــي واجهتني في طريق مسيرتي الحياتية والعلمية.
- إلى أولادي قرة عيني (محمد وبتول وتسنيم وجنى)، جعلهم الله تعالى من أهــل الفــلاح والصلاح.
- إلى أساتذتي الكرام جزاهم الله عنا خير الجزاء.

- إليهم جميعاً أهدي هذا الجهد المتواضع -

شكـــــر وتقديــــر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**»[1].

أقدم أسمى كلمات الشكر إلى أستاذي الدكتور:

شحادة العمري – أمّد الله في عمره – إذ كان لنا المعلم والأب الحنون؛ فما زهدنا ألبتة مـــن نصائحه وتوجيهاته النافعة في مسيرتنْا العلميّة والعمليّة، كما وأشكره أن تكرّم بقبول الإِشراف علـــى رسالتي.

- نفع الله به وجعله ذخراً لخدمة الإسلام والمسلمين -

كما وأشكر الأساتذة الأفاضل الكرام :-

- الأستاذ الدكتور : محمد خازر المجالي
- الأستاذ الدكتور : محمد الكردي
- الأستاذ الدكتور : عبد الجواد خلف

على تكرمهم بقبول مناقشة هذه الرسالة وإبداء التوجيهات والملحوظات القيّمة النافعة.

كما وأشكر كل القائمين على هذا الصرح العلمي الشامخ واسأل الله لهم التوفيق والسداد، وجزى الله الجميع خيراً.

- والحمد لله رب العالمين-

---

(١) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى الضحاك، ســنن الترمــذي، الناشــر: مطبعــة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ص١٩٧٥م، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، قــال الألبــاني: حــديث صحيح، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، حديث رقم ١٩٥٤، ح٤، ص٣٣٩.

" فهرس المحتويات "

ملخص الرسالة باللغة العربية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على خير الانام، المبعوث رحمة للعالمين، محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن ولاه، وبعد:

فإن البيان في القرآن الكريم يكشف عن سر الإعجاز الكامن في أعطاف الآيات القرآنية إذ إنه قائم مقام المعجزة الحسيّة؛ فيتناول اللفظ والمعنى والرباط الناظم لهما.

وإذا أنعمت النظر في كتاب الله وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة؛ فلا ترى أجزل ولا أفصح من ألفاظه، ولا ترى نظماً أشد تلاؤماً من نظمه، ولا معانٍ لها من الفضل في الترقي بالعقول من معانيه؛ فقد جاء كتاب الله بأفصح الألفاظ مضمّناً أصح المعاني في أحسن نظوم التأليف.

من القصص القرآني الذي يبرز هذا البيان آيات قصة هود عليه السلام وما فيها من التراكيب والمعاني والأساليب البلاغية وكل ما يرتبط بالنظم المعجز، وما اختصت به كل سورة من بيان، وما فيها من توجيهات معجزة في شتى الجوانب النفسيّة والتربويّة، فقصة هود عليه السلام تظهر مدى صبره مع قومه الذين غرتهم قوتهم؛ فأعمتهم وصمَّتهم عن الحق وكانت سبباً لطغيانهم وعتوهم في الأرض وهو ما تحدثت عنه الرسالة في مضامينها تفصيلاً.

ومع ورود القصة في تسعة مواضع في القرآن الكريم، إلاّ أنه في كل سورة ملمحاً جديداً يتناسب مع سياق الآيات وموضوع السورة حيث يشكل بمجموعها المفهوم العام لقصة هود عليه السلام ويحقق الأهداف الدينية الوعظية التربوية.

مقدمـــــــــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليّا مرشداً، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين.

وبعـــــــــد:

فقد أذعنت أعناق العرب وهم مَنْ هم في الفصاحة والبلاغة، أمام كتاب الله المعجز، فقد جعل سبحانه وتعالى كلامه دليلاً على الإعجاز، وبرهاناً لنبيه صلى الله عليه وسلم وحجة بالغة على خلقه من الأنس والجن، قال تعالى: M أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ © عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً ´ µ ¶ ¸ L [العنكبوت: ٥١]

فكان القرآن معجزة باقية بقاء النيرين حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ولمّا كان البيان هو سر الإعجاز، والدراسة البلاغية لآيات القرآن من أهم الدراسات التي تُجلّى اعجاز القرآن البياني الذي ينتظم القرآن كله، وحيث أن المساحة التي شغلتها القصة القرآنية من كتاب الله تقرب الربع أو تزيد، لذا رأيت أن أركز جهدي على دراسة الآيات في قصة هود عليه السلام التي وردت في عدة سور قرآنية وهي سور (الفجر، والقمر، والأعراف، والشعراء، وهود، وفصلت، والأحقاف، والذاريات، والحاقة). أجمع فيها الظواهر البلاغية من حيث الإعجاز في اختيار اللفظة القرآنية ومعانيها العظيمة وما تشع به من توجيهات نفسية وتربويّة للوصول إلى أهداف القصة القرآنية؛

لإقامة الحجة على أهل الباطل الذين يطعنون بالقصص القرآني، ويزعمون أنها لا تدل على الحقيقة والواقع وإنما هي مجاز لغوي فحسب. وإن التزامي بهذا الاستقراء للأغراض البلاغية في الآيات القرآنية في قصة هود عليه السلام بحاجة إلى جهد وصبر ودقة وإطالة في فكرٍ وتأنٍ، لأن دراستها بلاغياً لم يكن إلاّ شواهد متفرقة في كتب البلاغة، أو أُلقي الضوء على بعض الجوانب البلاغية فيها في بعض كتب التفسير التي عنيت بالجانب البياني، ولما كان التفسير الموضوعي هو ثمرة التفاسير بمختلف اتجاهاتها، ولا يمكن الفصل بينها لتتقطع وشائج الصلة بينها، آثرت أن أظهره خلال تفسير الآيات، لأبرز فيه جوانب الهداية بعد أن استشف أصولها من روح الآيات الكريمة؛ لتكون أصول التربية القرآنية نبراساً في بناء القيم للمجتمعات والأفراد التي تقوم عليها علائق المجتمع الآمن الرغيد.

هذا وجاءت رسالتي هذه التي عنونت لها بـــ "البيان القرآني في آيات قصة هود عليه السلام"، والتي انتهجت فيها أسلوب التحليل البلاغي، رسالة كاشفة عن البيان القرآني في قصة نبي الله هود عليه السلام، بكل ما يتضمنه النظم المعجز وما ينبثق عنه من جوانب الإعجاز الأخرى، بعيداً عن سرد أحداث القصة كما أوردتها بعض كتب قصص الأنبياء. وقد بنيت رسالتي على تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة على النحو الآتي:

تمهيد:

أولاً: القصة القرآنية أهدافها وخصائصها

ثانيا: البيان القرآني وعلاقته بالإعجاز.

الفصل الأول: البيان القرآني في آيات حوار هود عليه السلام مع قومه

المبحث الأول : البيان القرآني التحليلي لآيات قصة هود عليه السلام في سورة الأعراف L#Šqèl Ñèl¼{&Š¼æ 4<ĵrM [الأعراف:٦٥ – ٧٥]

المبحث الثاني: البيان القرآني التحليلي لآيات قصة هود عليه السلام في سورة الشعراء L ûüî™ëG3Ø$Š¼æ M/ø.M [الشعراء: ١٣٦ – ١٤٠]

المبحث الثالث: البيان القرآني التحليلي لآيات قصة هود عليه السلام في سورة هود L#Šqèl Ñèl¼{&Š¼æ 4<ĵrM [هود:٥٠ – ٦٠]

المبحث الرابع: البيان القرآني التحليلي لآيات قصة هود عليه السلام في سورة الأحقاف L Å$)ûnF$Î ¼çBö¼ '‹R&©ÿ Š¼æ ¼{&öäÏ$M [الأحقاف: ٢١ – ٢٦]

الفصل الثاني: - البيان القرآني في الآيات التي تحدثت عن عذاب قوم عاد.

المبحث الأول: البيان القرآني التحليلي لآيات قصة هود عليه السلام في سورة الفجر L Š$èÎ 7/' ®èù #ø. •?Ñ9&M [الفجر:٦ – ٨]

المبحث الثاني: البيان القرآني التحليلي لآيات قصة هود عليه السلام في سورة فصلت L.. .ÇÚ öF$'Î‡rž9ò6 GŠ$ù Š¼æ $B'ùM [فصلت:١٥ - ١٦]

المبحـــث الثالث: البيان القرآني التحليلي لآيات قصة هود عليه السلام في سورة

القمر Lĺä§r ’Î#‹ã b‰. #ø3ù Š‰æ ßM/¤.M [القمر: ١٨ – ٢١]

المبحث الرابع: البيان القرآني التحليلي لآيات قصة هود عليه السلام في سورة الذاريات LÌìÉè9$x ƒh$ŠÏž ã $Zt™ö‘ ö Ĝ Š‰æ ’ÎrM [الذاريـــات: ٤١ – ٤٢]

المبحث الخامس: البيان القرآني التحليلي لآيات قصة هود عليه السلام في سورة الحاقة: Lp7ŠÏ‰æ ŽÀ ö¹ 8xƒÌÎ ‡qà6 Îdlê Š$ã $B&rM [الحاقـــة:٦ – ٨]

الفصل الثالث: التشابه والتنوع في آيات قصة هود عليه السلام

المبحث الأول: التشابه والتنوع في نظم آيات الحوار

المبحث الثاني: التشابه والتنوع في نظم الآيات التي تحدثت عن نعم الله علىٰ قوم هود

المبحث الثالث: التشابه والتنوع في نظم الآيات التي تحدثت عن العذاب

المبحث الرابع: التشابه والتنوع في نظم الآيات التي أخبرت عنهم إجمالاً مع الأمم السابقة

الخاتمـــة: وفيها أبرز النتائـــــج.

هذا وقد وقع اختياري على هذا البحث للأسباب الآتية :-

أولاً: لقد جاء اختياري لهذا الموضوع خدمة لكتاب الله سبحانه وطلباً لرضوانه.

ثانياً: رغبتي في فهم الإعجاز الكامن في النظم القرآني وتحليله واستنباطه، والإفادة من أسلوب القرآن الدعوي الإرشادي في قصصه من خلال الغوص في ذلك النظم المغدق الذي هو من أبرز كنوز القرآن العظيم، والذي به يتم الكشف عن محاسن النكت المودعة في مكامنها.

ثالثاً: الكشف عن وجه من وجوه إعجاز القرآن في قصة من قصصه لأدل على شيء من مواطن الجمال في تعبيره الفني الرفيع وأهدافه السامية وأحداثه الصادقة، لنوقن أن القرآن الكريم هو كلام الله، الذي لا يشابهه كلام ولا يرقى إليه حديث. قال تعالى: M 3 4 5 6 7 8 9 L [الطور: ٣٤].

رابعاً: لم أجد من بحث هذا الموضوع بحثاً شاملاً للقصة سالكاً فيه أسلوب التحليل البياني إلاّ ما وجدته من شواهد متفرقة في كتب البلاغة أو كتب القصص القرأني، أو إشارات في كتب التفسير التي تعنى بالبلاغة وابراز وجه الإعجاز اللغوي.

كما وأصبو في بحثي هذا تحقيق الأهداف التالية:

أولاً: إبطال مفتريات المتطاولين على نظم القرآن الذي يتضمن القصص القرآني ومنه قصة هود عليه السلام الذي عاش في جنوب الجزيرة العربية.

ثانياً: الرد على الطاعنين بالقصص القرآني ومساواته بالقصص البشري من حيث الهدف ومصداقية الأحداث مما يقتضي إبراز أهدافه السامية وأحداثه الصادقة ونظمه المعجز بالاعتماد على آيات القرآن الكريم.

ثالثاً: دراسة الظواهر البلاغية والأساليب البيانية في قصة هود عليه السلام وتوظيفها عملياً في فهم آي الذكر الحكيم إحياءً للبحث العلمي في البلاغة العربية.

رابعاً: الوصول إلى الأهداف السامية المتنوعة للإفادة منها في حياتنا الدعوية.

الدراسات السابقة:

من خلال دراستي واطلاعي وبحثي في المواقع المختلفة لم أجد من كتب في البيان القرآني في قصة هود عليه السلام إلا ما وجدته من الرسالتين:

- النظم القرآني في سورة هود– دراسة أسلوبية – مجدي عايش عوده – رسالة ماجستير - الجامعة الإسلامية - غزة - كلية الآداب - ٢٠٠٩م.

- الأسرار البلاغية في سورة هود – علي بن خليفة السلطان - رسالة ماجستير - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض - قسم الآداب - ٢٠١٠م.

وهاتان الرسالتان ليستا نصاً في موضوع رسالتي لكنهما تتقاطعان مع بعض موضوعات الآيات الواردة في قصة هود عليه السلام، وقد اطلعت علىٰ الرسالة الأولى فقط ، ولكني سلكت في الكتابة منهجا مغايرا لما سلكه الباحث فلم استفد من رسالته شيئاً.

وفي الختام فإني لا أدّعي الكمال أو القرب منه، وأنّى لي بذلك؛ وكتاب الله هو الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد.

والله عز وجل اسألُ أن يلهمني الصواب والسداد والإخلاص في القول والعمل.

L / . - , *) (' & % $ # " ! M

[البقرة: ١٢٧]

تمهيد

أولاً: القصـــة القرآنية أهدافها وخصائصها .

القص في اللغة: تتبع الأثر، وأصل القصص في العربية: إتباع الشيء الشيء وسمي الخبر الطويل قصصاً لأن بعضه يتبع بعضاً[(١)].

وقال بعضهم: القص: البيان. والقاصُّ: من يأتي بالقصة على وجهها. كأنه يتبّع معانيها وألفاظها، وسُمي المقص لاستواء جانبيه واعتدال طرفيه[(٢)].

والقصة القرآنية تحمل ذلك المدلول اللغوي من تتبع الوقائع بصدق أضف إلى ذلك علو في الهدف وجاذبية في العرض والبيان .

ومن أجل ذلك شكلت القصةالقرآنية جزءاً كبيراً من القرآن الكريم يتراوح ما بين الربع والثلث، وغلبت على التنزيل في مكة المكرمة لتقرع قلوب أهل الكفر والعصيان بمصير من سبقهم من أقوام، ولتنفذ إلى أعماقهم من خلال ذلك البيان المعجز في مبناه ومعناه. (إن هذا الإعجاز القرآن إنما يتجلى في صدور الأداء وفي نقل الواقع وما تلتبس به من سرائر النفوس وخلجات القلوب فهو في موضوعه نسيج من الصدق الخالص. لا

(١) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل، الفروق اللغوية ، دار العلم للثقافـــة والنـــشر، القـــاهرة، (تحقيق: محمد إبراهيم سليم) ج١، ص٤٢.

(٢) الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، ج١٨، ص٩٩.

تشوبه شائبة من وهم أو خيال ثم إن تصوير القرآن للأحداث التي ينتظمها قصصه هو نقلٌ حي لها، حتى لكأنها تتجسد في الزمان والمكان اللذين حملاها لحظة حدوثها).[١]

أهداف القصة القرآنية :-

القصة القرآنية وحي سماوي جاءت لتؤدي أغراض القرآن الكريم مهما اختلفت إيجازاً واطناباً، ومهما كان القدر الذي يعرض منها، وبأي أسلوب عُرضت فيه متسمة ببراعة التصوير الأدبي، تاركة أثرها البالغ في النفوس .

وللقصة القرآنية أهداف عامة ترتبط وتلتئم مع نصوص القرآن الكريم وأهدافه بشكل عام، كما أن لها أهدافاً خاصة نستقيها من الفرعيات والموضوع الخاص الذي تتميز به كل قصة وما تتركه من آثار يستفاد منها في البناء الحضاري على مستوى الأفراد والأمم، على جميع الصُعد التربوية والخلقية والإقتصادية، حتى إذا فصّلت بذكر هذه الأهداف الخاصة لكل قصة وجدت نفسك أمام بحر لا ساحل له .

- ومن أبرز أهداف القصص القرآني :-

- تأكيد قيم دينية شتى؛ فهي تحارب الوثنية، وتؤصل المبادئ الخلقية"[١] قال تعالى:

M D E F G H I J K L M N L [النحل:٣٦] .

- تطمئن صاحب الرسالة وتواسيه في شدائده إذ يرى أنه ختام رائع لأناس حملوا أمانة الدعوة، ولاقوا صعاب الرسالة فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله من عنت

---

(١) انظر عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، مؤسسة دار الأصالة، بيروت ١٩٨٤م ، ط١، ص٨.

الضالين وبغي الكافرين[2]. قال تعالى: M ? @ A B C D E F G H J K L M N O P Q L [هود:١٢٠]

- إثبات الوحي والرسالة، فمحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن كاتباً ولا قارئاً، ثم جاءت هذه القصص في القرآن – وبعضها جاء في دقة وإسهاب – فوردوها في القرآن اتخذ دليلاً على وحي يوحى. وقد نصّ القرآن على هذا نصاً في مقدمات بعض القصص أو في خواتيمها[3]. قال تعالى: M نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ © ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ L [يوسف: ٣]. وقال سبحانه: M e f g h i j l m n o p q r s t v x y z L [هود: ٤٩].
- تقرير سنة من سنن الله ينصر عباده المؤمنين وإهلاك الظالمين، مما يجدر الإتعاظ والإعتبار بقصص السابقين. قال تعالى: M 0 1 2 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? L [العنكبوت: ٤٠]
- تعزيز فضائل الأخلاق والتأسي بصفات الصالحين وخاصة رسل الله عليهم صلوات الله وسلامه. فقد ذكر الله في سورة الأنعام قصة ثمانية عشر نبياً. ثم أتبع ذكرهم بقوله: M أُوْلَٰٓئِكَ L [الأنعام: ٩٠]. ونفهم من هذا التعداد.

---

(١) انظر البيومي، محمد رجب، البيان القرآن، دار النصر للطباعة – القاهرة، ١٩٧١م، ص٢٠٧.
(٢) انظر البيومي، البيان القرآني، مصدر سابق، ص٢٠٧.
(٣) انظر قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، ص١٤٥.

أولاً، ومن التعقيب بعده، أن الغرض كان اقتداء محمد صلى الله عليه وسلم بهم في التبليغ، والصبر على التكذيب، والصبر على أهل العناد ... دون أن يكون الغرض عرض قصص للتلهي، فالقصة القرآنية ليست عملاً فنياً مقصوداً لذاته، بل هي إحدى وسائل الوعظ والتبليغ والإرشاد. [١]

إن التغيير الجذري للمجتمعات من خلال غرس المنهاج الصحيح في العقيدة ثم تغذية النفوس بالإستقامة والاصلاح وتسييج الأخلاق بالفضيلة للرقي بالأفراد حتى يكونوا لبنات في بناء مجتمعاتهم والنهوض بها إلى أعلى المستويات لهو الهدف الرئيس من سياق القصص الصادق المعجز في كتاب الله تعالى.

خصائص القصص القرآني :-

للقصة القرآنية خصائص فذّه جعلتها تتميز تميزاً تاماً عن القصة الفنية؛

- فالقصة القرآنية وحي من الله تبارك وتعالى فهي صدق محض،وهدفها ديني أخلاقي محض لذلك لا يمكن أن تقاس على القصة الفنية، فالقرآن الكريم يضع القصة في إطار ديني تنفذ منه أشعة روحية إلى النفس ببيان العبرة التربوية والأخلاقية التي من أجلها أنزل الله القصص"[٢] وهذا كله ينبع من الواقعية التاريخية للقصة القرآنية، قال تعالى:M ! " # $ % L [آل عمران:٦٢]،

(١) انظر بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، دار الشروق – بيروت ، القاهرة، ط٢، ١٩٧٦م، ص٢١٨.

(٢) انظر عبد الراضي محمد عبد المحسن، الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم، نشر مجمع الملك فهد الطباعة المصحف الشريف، ج١ ص١٢٨ .

وقال سبحانه: M ` a b e d f g L [الأعراف: ٧]، حتماً ليس في القصة القرآنية أي نوع من الخيال أو التصوير المجرد عن الحقيقة كما يزعم أولئك الذين ينعقون بما لا يعلمون .

- التكرار الهادف المعجز، بما يمليه الغرض الديني في إعادة القصة ولكنها تلبس في هذه الإعادة أسلوباً جديداً، وتخرج إخراجاً جديداً يناسب السياق الذي وردت فيه. [١]

- التجريد الزماني والمكاني، حيث لا يحدد القرآن زمن الحدث او مدته أو مكانه إلاّ ما كان محورياً في الحدث أو مسرحاً له كمصر في قصة يوسف، وذلك لعناية القصة بالحدث وتقرير الحقائق الدائمة التي يمكن الإفادة من حكمتها ومغزاها في كل زمان ومكان بما يتلاءم مع عالمية رسالة القرآن وتحقيق الإيجاز غير المخل[٢].

- التشخيص البياني، الذي يتمثل في خلع الحياة على المواد الجامدة، والظواهر الطبيعية، والانفعالات الوجدانية حتى ترتقي فتصبح حياة إنسانية وتهب لهذه الأشياء كلها عواطف آدمية، وخلجات إنسانية[٣]،التصريح والتلميح، في الوقت الذي يهتم القرآن بابراز أدق التفاصيل النفسيّة والشعورية لأشخاص قصصه، فإنه

---

(١) بكري شيخ أحسين، التعبير الفني في القرآن، مصدر سابق، ص٢٢٠ باختصار .

(٢) انظر نقرة: التهامي، سيكولوجية القصة في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع – تونس، ١٩٧٤م، ص٩٧.
وانظرعبد الراضي محمد، الغارة التنصيرية، مصدر سابق، ص١٠٥ .

(٣) انظر قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، مصدر سابق، ص٧٣.

يكتفي بذلك التشخيص معرضاً عن التصريح بالأسماء كما في قصة "العبد الصالح" و "الفتى" مع موسى عليه السلام وذلك لكون الحدث هو الهدف من القصّ[١] ولأن الإنسان هو قطب الرحى في القصة القرآنية مثلما هو قطب الرحى في الكون الذي استُخلف فيه فتساق له القصة القرآنية نوراً لعقله وقلبه وتهذيباً لمسلكه[٢]

- وللقصص القرآني خصائص فنيّة راقية تسمو به إلى أعلى الدرجات من الإعجاز البياني والتشويق النفسي لمعرفة أحداثها والتي تتمثل في أمور منها :

أولها: تنوع طريقة العرض: فمرة يذكر ملخصاً للقصة ثم يعرض تفصسلاتها كما في قصة أهل الكهف، ومرة يذكر عاقبة القصة ومغزاها ثم يفصل خطواتها كما في قصة يوسف عليه السلام، ومرة يذكر القصة مباشرة بلا مقدمة ولا تلخيص مثل قصة مولد عيسى عليه السلام، وحده يحيل القصة تمثيلية كقصة بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام الكعبة المشرفة .

ثانيها: تنوع طريقة المفآجأة: فمره يكتم سر المفآجأة عن البطل وعن النظارة كقصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، ومرة يكشف بعض السر للنظارة وهو خاف على البطل في موضع، وخاف في موضع آخر عن النظارة والبطل كما في قصة عرش بلقيس، ومرة يكشف السر للنظارة ويخفيه عن أبطال القصة كما في قصة أصحاب الجنة، ومرة لا يكون هناك سر، بل تواجه المفاجأة

---

(١) انظر عبد الراضي محمد، الغارة التنصيرية، مصدر سابق، ص١٠٤.

(٢) عباس، فضل حسن، قصص القرآن الكريم، دار النفائس، الأردن، ط٣، ٢٠١٠، ص٤٦.

البطل والنظارة معاً كمفاجآت قصة مريم لما أتاها الروح في مكان اعتزالها .

ثالثها: الفجوات بين المشهد والمشهد ... التي يملؤها الخيال، ويستمتع بإقامة القنطرة بين المشهدين كما في قصة يوسف عليه السلام من فجوات بين مشاهدها فنرى مشهداً بين يعقوب عليه السلام وبينه وقد ابيضَّت عيناه من الحزن ثم يتلوه المشهد الآخر وهم في مصر أمام يوسف عليه السلام .

رابعها: التصوير في مشاهد القصة؛ فلون يبدو في قوة العرض والإحياء كمشهد نوح وابنه في الطوفان، ومشهد الفتية أصحاب الكهف في تشاورهم ولون يبدو في تخييل العواطف والإنفعالات إبراز انفعالات صاحب الجنتين، وانفعالات مريم عليها السلام عند ولادة عيسى عليه السلام ، ولون يبدو في رسم الشخصيات .. كشخصية موسى عليه السلام، ويقابلها شخصية إبراهيم عليه السلام نموذج التسامح والحلم. [١]

وإن ما ذكرته من أهداف وخصائص إنما هو غيض من فيض، وما لا يُدرك كله لا يترك جُلُّه .

ثانياً: البيان القرآني وعلاقته بالإعجاز

البيان هو : إظهار المقصود بأفصح لفظ، وهو من الفهم وذكاء القلب مع اللَّسن، وأصله الكشف والظهور[٢] ومنه الحديث الشريف "إن من البيان سحراً"[٣] فالبيان هو النطق الفصيح المعْرب عما في الضمير، فيظهر المتكلم المراد للسامع وقيل: هو الإخراج

---

(١) انظر قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، مصدر سابق، ص١٨٠ – ٢٠٣.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، **لسان العرب**، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـــ، باب النون، فصل الباء، ج١٣ ص٦٩.

(٣) البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أحوال رسول الله صـــلى الله عليه وسلم وسننه وأيامـــه** = صحيح البخاري، دار طوق النجاة، ط١، (تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر)، كتاب الطب، باب: إن من البيان سحراً، حديث رقم (٥١٤٦) ج٧، ص١٩.

عن حد الإشكال[١].

ولما كان البيان هو ما امتاز به الإنسان. . جاءت معجزة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بيانية، للإشارة إلى أن هذه الرسالة هي رسالة الإنسان حيثما كان وفي أي زمان وُجد! بل كانت هذه المعجزة "الناطقة" شيئاً زائداً في هذا البيان، بلغ حد التحدي، أن يأتي أحدٌ بسورة منه، فلم يستطع أحدٌ ذلك [٢].

ومع تعدد وجوه الإعجاز في كتاب الله تعالى، إلا أن الوجه البارز الذي وقع به التحدي هو "البيان" يقول سيد قطب "رحمه الله".

"يجب أن نبحث عن "منبع السحر في القرآن" قبل التشريع المحكم، وقبل النبوءة الغيبيّة، وقبل العلوم الكونيّة، وقبل أن يصبح القرآن وحده مكتملة تشمل هذا كله. فقليل القرآن الذي كان في أيام الدعوة الأولى كان مجرداً من هذه الأشياء وكان مع ذلك محتوياً على هذا النبع الأصيل الذي تذوقه العرب، فقالوا: M 9 : ; < = > L [المدثر:٢٤] [٣].

فالبيان في القرآن الكريم مفهوم واسع يتناول الألفاظ والمعاني والأساليب والنظم البديع والتصوير الفني. والإيقاع وكل هذا من كتاب الله تجده في الذروة التي تذعن أمامه من كانت البلاغة صنعته.

وقد جمع المرحوم سيد قطب بين هذه العناصر التي جاءت في أعلى درجات

---

(١) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، **التعريفات**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م،ج١، ص٤٧.

(٢) زرزور، عدنان، **علوم القرآن**، المكتب الإسلامي، ص٢٥٤.

(٣) انظر قطب، سيد، **التصوير الفني في القرآن**، دار الشروق، ص١٨.

البلاغة والتي قد تشكل الإعجاز البياني في قوله:- "إنّ في هذا القرآن سراً خاصاً، يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداءً، إنه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن. وأن هنالك عنصراً ما ينسكب في الحس بمجرد الإستماع لهذا القرآن. . هذا العنصر يصعب تحديد مصدره. ذلك سر مودع في كل نص قرآني، ثم تأتي وراءه الأسرار المدركة بالتدبر والنظر في بناء القرآن كله، في التصور الصحيح الذي ينشأه في الحس والقلب والعقل"(١) فالأستاذ سيد قطب- رحمه الله- يشير في قوله "هذا العنصر يصعب تحديد مصدره" إلى النظم القرآني الذي طوّع اللغة لخدمة المعنى؛ إذ يكمن فيه الإعجاز في دقة اختيار المفرده التي تجعل القارئ يعيش في ظلها حالة الخشوع والتدبر، لا حالة التفكير العقلي المجرد. فالقرآن الكريم معجز في حروفه وكلماته، كما أنه معجز في نظمه وأسلوبه ولا ينبغي الانتصار لجانب دون الآخر؛ لأن الإعجاز البياني متحقق فيها جميعاً على السواء، إضافة إلى ما ينبثق من هذه الألفاظ الجزلة من توجيهات معجزة في شتى الجوانب النفسية والتربوية. وإليك بعض أقوال العلماء – جزاهم الله خيراً – من السابقين والمحدثين عن بلاغة القرآن في هذه الجوانب، يقول الإمام الخطابي في رسالته "بيان إعجاز القرآن": "الكلام البليغ يقوم على ثلاثة أشياء: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم.. ثم قال: "إن القرآن إنما صار معجزاً: لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن

---

(١) انظر قطب، سيد / قطب ابراهيم حسين، **في ظلال القرآن**، دار الشروق – بيروت – القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ، ج٦، ص٣٣٩٩ ، بتصرف.

نظوم التأليف، مضمّناً أصح المعاني"[١].

أما عن النظم فيقدم الإمام الجرجاني[٢] خلاصة نظريته بقوله "إن التحدي والإعجاز في النظم والتأليف. والنظم هو: توخي معاني النحو وإحكامه فيما بين الكلمات والجمل والفقرات، فالكلمات في الجملة لا يجمعها ويؤلف بينها إلا النحو [٣].

أما علماء البيان من المُحْدثِينَ الذين كانت لهم لمسات فريدة مما جادت به قرائحهم المتقدة ودبَّجتّه مداد أقلامهم – ما كتبه المرحوم محمد عبدالله دراز عن الإيقاع الصوتي الذي تتألف منه القشرة السطحية للجمال القرآني إذ يقول :

أول ما يلاقيك ويستدعي انتباهك من أسلوب القرآن الكريم خاصية تأليفه الصوتي في شكله وجوهره، والجمال التوقيعي في توزيع حركاته وسكناته، ومداته وغنّاته إن أول شيء أحسته تلك الأذن العربية في نظم القرآن هو ذلك النظام الصوتي البديع الذي قسمت فيه الحركة والسكون تقسيماً منوعاً يجدد نشاط السامع لسماعه، إلى أن يصل إلى الفاصلة فيجد عندها راحته العظمى. ثم يتحدث عن الجمال التنسيقي في رصف حروفه وتأليفها

---

(١) الرماني، والخطابي والجرجاني، **ثلاث رسائل في اعجاز القرآن**، دار المعارف – مصر، ط٢، ١٩٦٨م، (تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام)، ص٧٥، بتصرف.

(٢) هو الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني الأشعري الشافعي، نحوي، بياني، متكلم، فقيه، مفسر، توفي في بجرجان (٤٧١هـ) من تصانيفه إعجاز القرآن، العوامل المائة، العمدة في التصريف. . أنظر كحالة، عمر رضا بن محمد بن راغب، **معجم المؤلفين**، دار إحياء التراث العربي بيروت، ج٥، ص٣١٠.

(٣) الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، مكتبة الخانجي، ١٩٨٤م، (تحقيق: محمود شاكر)، ص٥٥.